International Journal of Humanities & Social Sciences
Volume (3) – April 2018 SJIF Impact Factor 3.38
ISSN1858-838
المجلة الدولية للعلوم الانسانية والاجتماعية
العدد الثالث-ابريل 2018

العوامل الجغرافية الطبيعية وأثرها علي المعارك الحربية دراسة بعض معارك الإمام المهدي (1881م--- 1885م)

*د.محمد عبدالله داؤد محمد

المستخلص:

قامت الثورة المهدية في السودان بزعامة محمد أحمد المهدي الذي ولد في جزيرة لبب بشمال السودان؛حيث قامت هذه الثورة رداً على مظالم الحكم التركي المصري المعروف بفترة التركية السابقة في السودان. وقد بني الإمام محمد احمد المهدي دعوته على فكرة المهدي الذي يظهر في أخر الزمان و يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جوراً. استجاب السودانيون للمهدي بقوة مكنته من هزيمة القوات الحكومية و السيطرة على السودان.هدفت الدراسة إلي معرفة اثر العوامل الجغرافية الطبيعية علي الحروبات التي خاضها الإمام المهدي من معركة الجزيرة أبا حتي تحرير الخرطوم.واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي والوصفي التحليلي لتوضيح اثر الخصائص الجغرافية الطبيعية في المعارك الحربية.ومن أهم النتائج أن عناصر المناخ والتضاريس أدت أدوارا مهمة في انتصارات الإمام المهدي.ومن التوصيات معرفة قادة الحروب بخصائص البيئة الطبيعة قبل اتخاذ قرار الدخول في الحرب.

الكلمات المفتاحيه:

العوامل الطبيعية, المعارك الحربية , الإمام المهدي ' الجغرافية التطبيقية 'الدولة المهدية

*قسم الجغرافيا - كلية التربية – جامعة القضارف بريد الكتروني dawoodirr888@gmail.com

Abstract:

The Revolution of Mahdia in Sudan led by Mohamed Ahmed Mahdi, who born in Labeb Island Northern Sudan, where this revolution is a reaction to the grievances of the Turkish-Egyptian Rule known as the period of the 'Previous Turkish in Sudan'. Imam Mohammad Ahmad Al-Mahdi built his call for the idea of the Mahdi, who appears at the end of time to fill the earth with justice after it is filled with injustice. The Sudanese responded to the Mahdi with a force that enabled him to defeat the government forces and control the Sudan. The study aimed at finding the effect of the natural geographical factors on the wars that Imam Mahdi fought from the battle of the Aba Island until the liberation of Khartoum. The study used historical and analytical descriptive approach to illustrate the impact of natural geographical characteristics in battle, and one of the most important results is climate and terrain elements have important roles in the victories of the Imam Mahdi, and recommendations see war leader's recognition of nature environment properties before deciding to enter into war.

تمهيد:

بدأت الجغرافيا كنوع من المعرفة لازم وجود الإنسان علي سطح الأرض،وهي من أقدم المعارف الإنسانية.والظواهر الجغرافية الطبيعية تمثل وسيلة أمن وحماية للإنسان القديم مثل الكهوف التي في الجبال والغابات.كما لا يستطيع الإنسان معرفة مكان سكنه أو صيده إذا لم يعرف جغرافية المنطقة.وللظواهر الجغرافية الطبيعية اثر كبير في كافة مناحي الحياة البشرية من زراعة ورعي وصناعة .وكذلك تؤثر علي المعارك الحربية،وبذلك تساعد البعض في كسب المعارك نتيجة للظروف الطبيعية،وبذلك استفاد الإمام المهدي من البيئة الطبيعية وانتصر في العديد من المعارك الحربية مستفيدا من الظواهر الجغرافية الطبيعية.

أهداف الدراسة:

معرفة اثر العوامل الطبيعية في سير المعارك الحربية.

مشكلة الدراسة :

يتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس هل للعوامل الجغرافية الطبيعية اثر في المعارك الحربية.

اهمية الدراسة:

تنبع اهمية الدراسة من اهمية العوامل الطبيعية علي فرض ميزان القوي علي الأرض.

منهج البحث:

اتبع البحث الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي .

الدراسات السابقة:-

1.دراسة:دياب[1]،بعنوان:موقعة المتمة 1897م.تناول الكاتب فيها الكاتب اثر العوامل الطبيعية من ظروف المناخ المتمثلة في الحرارة والرياح والمجاري المائية علي ترجيح كفة ميزان الحرب،إضافة إلي العوامل البشرية والاقتصادية الاخري.

2.دراسة:كيلاني[2]بعنوان:الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية:حيث تناولت الدراسة كيف توضع استراتيجيات الحروب وتغير الخطط من وقت لأخر حسب الظروف الجغرافية الطبيعية،وان يأخذ الجنود تدريبات عن البيئة التي يودون القتال فيها.

3.دراسة مضر[3]،بعنوان:مقالات في الجغرافية التطبيقية:حيث تناول الكاتب اهمية الظواهر الجغرافية الطبيعية مثل الموقع الفلكي والجغرافي ومظاهر التضاريس والمناخ والتركيب الجيولوجي علي كافة مناحي الحياة البشرية، وان أي عمل علي الأرض يتأثر بظروف البيئة الجغرافية الطبيعة ومنها العمليات الحربية.

4.دراسة:الثلاثيني[4]، بعنوان: الأمن العسكري في السنة النبوية:تناولت هذه الدراسة الموضوعات التي تتعلق بالأمن العسكري ومدي حاجة المجتمعات إلي هذا الأمن.وتظهر الدراسة الأسس والقواعد التي وضعها النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في الأمن العسكري.وبينت الدراسة أشكال الحياة العسكرية لدي القادة والجند.وكيفية استخدامهم لمظاهر البيئية الطبيعية حتي تساندهم في الانتصارات الحربية مثل التحكم في موارد المياه وسيطرة المناطق المرتفعة.

5. دراسة:الفرا [5] ،بعنوان:دور العوامل الجغرافيا في المعارك الحربية:تناولت الدراسة العوامل الجغرافية المؤثرة علي المعارك الحربية بشقيها البشري والطبيعي وأوضحت الدراسة أن للجغرافيا بصورة عامة والطبيعية بشكل خاص دورا كبيرا في ترجيح كفة ميزان الحرب.

بعض حروبات الإمام المهدي والعوامل الجغرافية الطبيعة التي أثرت عليها:

لخصائص ارض الدولة أي بيئتها الطبيعية وخصائصها المكانية وموقعها الاحداثي(الفلكي) والنسبي(الجغرافي) ومساحتها وشكلها ومناخها وسطحها اثر كبير علي سلوكها السياسي.[6] وتؤدي العوامل الجغرافية الطبيعية ومنها المناخية دورا بارزا في سير المعارك الحربية وحسم نتائجها. وكثيرا ما كانت ظواهر الجو سببا في خسارة أو كسب المعركة؛ ويذكر التاريخ خطأ نابليون عندما اختار فصل الشتاء القارس البرد لمحاربة روسيا ، ونجح الألمان في غزوهم الخاطف لبولندا في الحرب العالمية الثانية أثناء انقطاع هطول الأمطار ، كما أن الجيوش التي تستخدم الأسلحة الثقيلة والطائرات تفضل الأشهر الصحوة التي تقل فيها الأمطار؛ بينما تفضل قادة حروب العصابات الأيام الممطرة للقيام بهجماتهم المفاجئة في حماية الطقس غير الجيد[7]. كما يتأثر الجندي بدرجة الحرارة والرياح حيث يتدرب علي تنفيذ مهام مختلفة في بيئات تختلف عن بيئة بلاده[8] . ويقول سون اتزو في كتابه فن الحرب "لا تحارب

في الظروف الجوية المتطرفة التي يألفها العدو ؛ولا تألفها قواتك والأرض جزء من الجيش وهي التي تزيد أو تنقص من قوته؛ وحين تختار الأرض ابحث عن المكان الأعلى واستول قبل عدوك علي الممرات الضيقة ؛ ولا تواجه العدو عنما يكون علي تل عال ؛وان الحرب كالطبيعة له أحوال متعددة .وفي الميدان كن سريعا كالريح وصامتا كالغابة وثابتا كالجبل وعليك أن تعرف الأرض والطقس"[9]. ومن أهم العوامل الجغرافية الطبيعية التي أثرت علي حروبات الإمام المهدي من معركة الجزيرة أبا حتي تحرير الخرطوم ما يلي:

أولا:الموقع الجغرافي:

للموقع اهمية كبيرة تحددها عوامل متعددة منها إستراتيجية الموقع ومدي تحكمه في الطرق، أو الممرات البحرية وعلاقته بالدول المتجاورة. وكثيرا ما يجلب الموقع الجغرافي المشاكل للدول التي تتمتع بمواقع ذات اهمية حربية.ومن أهم انتصارات الإمام المهدي نتيجة للموقع الجغرافي هى معركة الجزيرة أبا.

معركة الجزيرة ابا 1881/8/12م[10] :

بايعت عدد كبير من المجموعات السكانية التي تقطن حول الجزيرة ابا دعوة الإمام المهدي، وأرسل المهدي منشورا إلي جميع اللذين عاهدوه بالطاعة، وختم منشوره بالهجرة إليه ،واللحاق به والجهاد معه. ولما اطلع الحكمدار محمد رؤوف باشا علي المنشور؛ انتدب احد معاونيه يدعوه بالحضور عنده ،فلما وصلوا إلي الجزيرة ابا، قابلهم كل من فيها بالتكبير وكان المهدي يتعبد في سرداب في الأرض و رفض الحضور معهم إلي الخرطوم، فلما عاد الوفد إلي الخرطوم وقصوا قصته ؛أمر الحكمدار بإرسال قوة إلي الجزيرة ابا فلما ألقت الباخرتان مراسيها بالجزيرة ابا هبط الجنود إلي الشاطئ واخذوا في الأهبة والاستعداد علي محلة المهدي، وكان السير متعذراً عليهم بسبب الأوحال المجتمعة من الأمطار؛ إذ كان الفصل خريفاً؛ فداهمه المهدي وفتك بهم ،ولم يفلت منهم سوي بضعة أشخاص.[11].هنا كانت الظروف الجغرافية الطبيعة لها أثرها في انتصار المهدي وذلك بسبب الظروف المكانية للجزيرة بأنها منطقة حصينة يصعب الدخول إليها بسهولة إضافة إلي هطول الأمطار التي جعلت الأرض الطينية علي شاطئ النيل الأبيض موحلة

لا يستطيع جنود الحكمدار التحرك فيها بسهولة؛ كما أن الجنود وصلوا مع مغيب الشمس وحركتهم أصبحت ليلا. كل هذه العوامل الجغرافية الطبيعية ساعدت الإمام المهدي علي الانتصار علي جنود الحكمدار بسهولة وقتل عددا كبيرا منهم . بعدها عين الحكمدار القائم قام علي بك لطفي لحصار الجزيرة ابا، ولكن كيف يمكن حصار جزيرة بطول حوالي 15 ميل.[11] وذلك فائدة الموقع الجزري الاستراتيجي حيث يمكن الدخول إليها والخروج منها بكل سهولة ويسر ومن كافة الجهات للذين يعلمون بيئة الجزر حيث أنها مناطق سهلة الموصلية ؛ ولكن للذين لا يعرفون بيئتها هي عصية وكانت عصية علي قوات الحكومة. أزكت معركة الجزيرة ابا روح الثورة في إتباع الإمام المهدي، وأسقطت هيبة الحكومة، وتحوطا من انتقام الحكومة انسحب المهدي إلي جبال النوبة في جنوب كردفان في منطقة جبل قدير. جبل عالي ومستدير يجتمع فيها ماء المطر ويحيط بجبل قدير جبال كثيرة وهي منطقة خصبة وفيها الأبقار والأغنام بكثرة وبها عسل النحل كالماء، والطريق إليه وعر وغابي وهي منطقة حصن منيع حيث أدار منها المهدي معاركه العسكرية.[12].ومن هذه الجبال اخذ الإمام المهدي زمام المبادرة لان الظروف الجغرافية الطبيعية كلها في صالحه من المياه المتوفرة والغذاء والأرض الخصبة والجبال الحصينة، وانطبق هذا علي ما ورد في كتاب فن الحرب (هاجم دولة غنية ذات ارض خصبة لتضمن الغذاء لجنودك) .حقيقة كسب الإمام المهدي الأرض الغنية التي عن طريقها قويت شوكة المهدي وكسب فيها الأنصار، حيث هاجروا إليه واحتموا بالجبال حتي قويت شوكتهم ومنها استطاعوا تحقيق الانتصارات في العديد من المعارك الحربية. كما أن الجبال النائية في جنوب كردفان أصبحت عمق دفاعي للإمام المهدي وذلك بعامل المساحة الواسعة التي عن طريقها تبعد المسافات من مراكز إمداد جند الحكومة بالمؤن والأغذية.

ثانيا:مظاهر السطح و التضاريس:

أن مظاهر السطح وطبوغرافية ميدان المعركة لها تأثير كبير علي سير المعارك الحربية.نجد أن الجبال تمثل عقبات كبيرة في وجه الجيوش الغازية ولذا استخدمت الجبال كحدود سياسية تفصل بين الدول.كما أن نقل المؤن والمعدات الثقيلة عبر الجبال تشكل أمرا بالغ الصعوبة،كما أن المناطق الجبلية دائما هي مناطق مناسبة للمباغتة ونصب الكمائن

وذلك بسبب قلة انعدام الرؤية التي تحددها الحواف الجبلية،وبسبب الطرق المحدودة التي تفرضها الممرات الجبلية؛ مما يجعل المرور عبرها من الأمور المحفوفة بالمخاطر.ولذلك أثرت التضاريس وطبوغرافيا الأرض في إفشال حملة راشد بك أيمن؛ وأفشلت كل المحاولات التي أرادت الوصول إلي الإمام المهدي في منطقة قدير. حيث أشار ملك الجبال علي الإمام المهدي بالارتحال إلي حصن حصين يعرف ببطن الأم .وهو مكان يحتمي به أهل جبال تقلي إذا ما أعلنوا عصيانهم فلا تنالهم جيوش الحكومة مهما حاولت وقد قام سكان الجبال المحيطة بإرهاب محمد سعيد باشا ليلا ؛حيث صعدوا علي الجبال المحيطة بالمنهل الذي نزل فيه جيش الحكومة وأطلقوا بنادقهم ،وكان لها دوي مروع تجاوبت أصدائه بالجبال ،فاستفهم محمد سعيد فقيل له انه المهدي وصحبه ،ولكنه لا ينالك بشر وأنت داخل دارنا ؛فطلب أن يخرجوه ؛فأخرجوه بعد أن دفع لهم مالاً[13] . وهذا يوضح أن منطقة جبال تقلي حصن جبلي طبيعي من الصعب أن يخترقه الإنسان الذي لا يعرف طبيعته الجغرافية(وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ .النحل (81). كما أن صدي الجبال ليلا والدوى الشديد أذهلت محمد سعيد باشا ؛مما طلب الخروج من هذه الجبال بسرعة بعد أن دفع المال وحقيقة محمد سعيد باشا ارضي رجال الملك ادم أم دبالو ملك جبال تقلي بالمال وخرج منها سالماً .كل هذه الأمور توضح مدي اهمية العوامل الجغرافية الطبيعية في التأثير علي ميزان القوي وترجيح كفة علي أخري.

حملة راشد بك أيمن مدير مديرية فشودة في 9/ديسمبر 1881م [10]. قام راشد بك مدير فشودة بقيادة حملة اتجه بها نحو قدير لمباغتة المهدي ، وفي تلك الأثناء وصلت النضيرة لتخبر الإمام المهدي بوصول جيش غازي فوقعت القوة في كمين وقتل راشد بك وانتصر الإمام المهدي [13] .وعملت تكتيك التضاريس في هزيمة راشد بك حيث النضيرة هي عادة سكان الجبال تنبئ بقدوم جيش محارب وهي علم في رأسه نار يرفع من جبل لتري في الجبل الأخر. وهكذا إلي أن تصل النضيرة مقر الملك ويتهيأ للمعركة.أنها فكرة صائبة وبارعة في الأماكن التضاريسية الوعرة التي يمكن أن

تري من مكانك إلي المكان الأخر عبر قطاع التضاريس . ويمكن القول أن الطبيعة التضاريسية عملت وبقوة في انتصار المهدي ومقتل راشد بك أيمن.

حملة يوسف باشا الشلالي 1882/5/29م: أدت هزيمة راشد بك أيمن إلي استشعار الحكومة لخطر المهدي وبدأت في تجهيز حملة كبيرة للقضاء عليه ولكن حملة الشلالي تأخر لان الفصل بداية الخريف(موسم سقوط الأمطار) وذلك لغرض حفر الآبار وسقي الجيش وبعد هطول الأمطار وتوفرت الماء تحرك الجيش نحو قدير ولكن عند فجر 1882/7/17م انتصر عليه الإمام المهدي وكانت من اشد المعارك صعوبة علي جيش الحكومة[13]. استطاع الإمام المهدي هزيمة جيش الشلالي لأنه كان مرهقا بسبب السير في المستنقعات والأوحال بسبب مياه الأمطار حيث أضحي الجيش منهكا ونام .عندها هاجمهم المهدي وانتصر عليهم، هنا أيضا أدت العوامل الجغرافية الطبيعة متمثلة في المستنقعات والأوحال دورها في إرهاق الجيش وإضعاف قواهم مما سهل علي المهدي هزيمتهم،كما وقفت وعورة المكان وتضاريسها في صف الإمام المهدي وجيشه. وهذا زاد من عدد المهاجرين نحو قدير للانضمام إلي الدعوة المهدية.

ثالثا:المناخ وعناصره:

ويقصد بالمناخ حالة الجو بعناصره المختلفة من حرارة ورياح وسحب وأمطار.والحرارة تتطلب ملابس خاصة.والرياح كوسيط ناقل يظهر دورها في حمل الغازات السامة،كما أن السحب تكون غطاء من الغارات الجوية.لذا يرتبط تحديد وقت المعركة إلي حد كبير بمعرفة الخصائص المناخية بميادين المعارك الحربية وبذلك ساعدت عناصر المناخ من حرارة وأمطار مع توفير موارد المياه علي تحرير الأبيض. وإفشال حملة إنقاذ ولسلي.

زحف المهدي نحو الأبيض:

عند مسير الإمام المهدي نحو الأبيض كانت الأمطار تهطل مدرارا فاضطر الانتظار شهرا كاملا في منطقة جبال الكواليب[13] . ثم نزل في مكان تتجمع فيه مياه الأمطار وهي مكان منخفض يقصده الناس لسقي ماشيتهم وهي اقرب

منهل إلي الأبيض[11]. وبعد حصار الأبيض وتأزم الموقف استسلمت الحامية في 1883/1/19م وقبلها استسلمت حامية بارا في 1883/1/5م[14]. لان التجريدة التي أرسلتها الحكومة بقيادة علي بك لطفي لرفع الحصار عن بارا بينما كانت تسير بلغ بها العطش فانقض عليهم أنصار المهدي وهزموهم[15]. يتضح أن الأمام المهدي يسلك الطرق الوعرة والبعيدة عن أعين الحكومة والتي تتوفر فيها الماء؛ لذا كانت معظم تحركات الإمام المهدي والهجوم تتم في موسم سقوط الأمطار حيث مثلت الأمطار ستار دفاعي قوي للإمام المهدي في معظم معاركه الحربية. كما أن نجاح حصار الأبيض وبارا وسقوطهما تعزي لعامل المساحة لأن المساحة توفر العمق الدفاعي وتعطي المسافة إمكانية الكر والفر في اعتراض أي حملات إنقاذ ودعم تصل إلي الأبيض وبارا .

حملة إنقاذ اللورد ولسلي:

وما أن قررت الحكومة بإرسال الحملة حتي بدأت(حرب الطريق) هل تتخذ طريق النيل أم طريق سواكن بربر؟ ودخل الخبراء الحربيون في جدل لبضعة أيام وكان هذا أول عوامل التأخير.وأخيرا نجحت فكرة طريق النيل وكان ولسلي من مؤيديه.فصعد قواته النيل مستخدمين ما تبقي من سكة حديد حلفا مجتازا الشلال الثاني وما فوقه من شلالات أخري ؛ووصلت الحملة كورتي ولكسب الزمن أرسل ولسلي طابوراً سريعا عبر الصحراء إلي المتمة ثم عبر الوابور النهري إلي الخرطوم. والجيش الأخر يتحرك عبر النيل،ولكن لم يستطع ولسلي جمع الجمال بالسرعة والسهولة .وتحرك طابور الصحراء في 1884/12/16م مستخدما الجمال القليلة أكثر من مرة لنقل المعدات، فلما علم المهدي أن حملة الصحراء انفصلت عن كورتي أرسل قواته فاحتلوا آبار أبي طليح مانعاً قوة ولسلي من شرب المياه ،ولكن جيشاً يري الماء أمامه ليس من السهل منعه – كما قال سن اتزو في كتاب فن الحرب :اتخاذ المياه ساحة للمعركة أمر في غاية الكلفة والإجهاد – وفي 1885/1/20م دارت المعركة في أبي طليح، وانتصر تجريده الصحراء لولسلي واستقي الجيش من آبار أبي طليح واتجه نحو النهر وبعد مناوشات وصل الجيش النهر، واستقي، وركب الوابورات، واتجه نحو الخرطوم

في 1885/1/24م. وقاسوا وقاست الوابورات عناء في الطريق وخاصة بمنطقة الشلال السادس (شلال السبلوقة). وفي يوم 1885/1/28م وصلت تجريده الصحراء إلي الخرطوم لكن وجدتها قد سقطت في يد الإمام المهدي وفضلت الرجوع، وعند العودة واجه الطابور وابلاً من النيران من توتي وأم درمان ،وظل يتعثر في سيره في مياه معادية، وساهمت جنادل النهر وجزره الرملية في إعاقة السير؛ وأخيرا تعطلت الوابورات حيث أنقذه بعض الجنود بعد تعرضه لأخطار محققة. ولكن عزم ولسلي علي محاربة المهدي في موسم الخريف القادم بعد احتلال بربر، وفتح طريق سواكن بربر.ولكن ساءت حالة طابور الصحراء، فأرسل القائد ببرقية تقول انه يلقي قسوة كبيرة من الطبيعة وعنته؛ فالجمال تموت بالمئات والجند قد هلكت أحذيتهم؛ وصاروا يتحسسون طريقهم في الصحراء علي أرجل عارية لفت عليها الخرق البالية. واستمر في تراجعه بحيث يوقد النيران في المعسكر ليلا ويرتحل أول الجيش وعندما يصبح النهار يجدوهم قد رحلو؛ مستخدمين الليل كستار. ويلحق بهم الأنصار ويناوشوا مؤخرتهم حتي وصلوا كورتي بعد أن مات قائدهم الأول السير هربرت ستيوارت متأثرا بجراحه[13]. واجه طابور الصحراء صعوبة كبيرة في الصحراء للوصول إلي النهر حيث قلة المياه وطول المسافة ومناوشات معركة أبي طليح ؛وعند وصولهم الخرطوم وجدوا الخرطوم قد سقطت.كما وجدوا صعوبة كبيرة في الوصول إلي الخرطوم بسبب الجنادل ،والجزر الرملية ،والصخور عدوة المواعين النهرية .وانحصارهم في مجري النيل لتصيبهم مناوشات الأنصار،كما أن عودتهم عبر الصحراء إلي كورتي واجه جيش ولسلي المتاعب الجمة ؛حيث نقص المؤن والعطش وموت الجمال وانتهاء المؤن الشخصية كالأحذية والملابس وشمس الصحراء الحارقة .إضافة إلي مناوشات رجال المهدي وملاحقاتهم المزعجة. ولولا استخدام الليل كستار للحركة لصعبت علي الجيش الوصول إلي كورتي. ولكن وصلت كورتي بصعوبة شديدة بعد موت قائدهم.وساعدت الظروف الطبيعية كثيرا في ضعف قوات ولسلي وانتصار أنصار المهدي. أما عن الحملة النيلية فاقتنع ولسلي بصعوبتها ؛وأتته الأخبار بعوائق النيل في المؤن ومناوشات الأنصار من علي الضفتين، وفوق ما يلاقيه الجيش من صعاب؛ فان انتصار

المهدي الحاسم ربما يؤثر علي القبائل الضاربة في الصحراء حيث تتخذ موقفا معاديا نحو الجنود الانجليز، ولهذا تم استدعاء الحملة النيلية ليلتقي بطابور الصحراء المتعثر في مشيته علي النيل في كورتي ،وغادر ولسلي مقر قيادته إلي القاهرة[13]. خوفاً من نفس أحداث ستيورات علي النيل من الجزر ،والشلالات ،والجنادل والصخور، وعدم قدرة البواخر في العبور؛ فضل ولسلي العودة وعدم الدخول في معركة نتائجها غير محسومة. كما أن انتصار المهدي يؤلب عليه سكان الصحراء؛ إذ ما زال يقيم في منطقة كورتي وطابور الصحراء قادم من الخرطوم بخيبة آمل وطابور النيل ربما يتعثر لذا اتخذ ولسلي قراره بالرجوع إلي القاهرة.وكل هذه العوامل كانت للعوامل الجغرافية الطبيعية دور كبير فيها.

رابعا:النباتات الطبيعية:

يمكن أن تستغل النباتات الطبيعية في الحروب،فمناطق الغابات تمثل دائما ملاجئ يلجأ إليها الوطنيون.وتحاول الجيوش التنكر وفق ما يسود ميدان المعركة من ظروف مختلفة، فإذا كانت الأشجار هي السائدة وضعوا أغصان الأشجار علي رؤوسهم وسياراتهم للتمويه.ومن هنا كانت للنباتات الطبيعية دور كبير في انتصار الإمام المهدي علي هكس باشا والانتصار عليه في غابة شيكان.

حملة هكس باشا (معركة شيكان):

عند مسير حملة هكس من مدينة الدويم نحو الأبيض وبارا عبر الصحراء، ترك الأهالي قراهم ودفنوا الآبار ، كما اتخذت الحملة الطريق الطويل لان بها مناهل المياه ،وكلما سمع الأهالي بمجئ الجيش ارتحلوا حتي تعمق الجيش في تلال كردفان بعيدا عن النيل ودخل في مغامرة حربية قل ما عرفها التاريخ ، ودب الخلاف حول وقت المسير وارتياد المناهل وطورا حول طول الطريق، ومشاكل المياه تتجدد يوميا؛ وهل الآبار تكفي لسقاية الجيش والدواب. ومات عدد كبير من الدواب بسبب قلة الماء ومناوشات الأنصار ، وكلما أوغل الجيش نحو الغرب كلما زادت الخلافات وتفاقمت المشاكل[13]. وعند وصول الجيش نحو شيكان تعجل المهدي وعسكر علي غدير الماء الذي كان يخشي أن

تسبقه إليه الحملة، ولكن عسكرت الحملة في غدير أخر ولكن نفد ماؤه بسرعة ولم يبق إلا الطين الموحل. واشتد ظمأ الجيش لنفاد الماء وتمردوا علي ضباطهم وسقطت هيبة النظام من قلوبهم ومضي عليهم يوما كاملا لم يذوقوا الماء؛ وكانت الحملة تسير دون انتظام[11]. ولذلك سار جيش هكس بتعثر في مسيره وسط ارض غابية فبقي المهدي بالجهادية اللذين نزلوا وسط الأشجار، وعلي جانبي الطريق يصوبون من وسط الأشجار مما أنهك الجيش ،وصعبت عليهم ردع الأنصار ومبادلتهم بالأسلحة النارية لان الأنصار يتخذون من جذوع الأشجار وظلمة الغابة أماكن للحماية ،ودخل جيش هكس في إقليم لم يألفوا طقسه ومياهه ولم يتدربوا علي القتال ضد طبيعته الجغرافية ، حيث أبيد الجيش في يومي 4 و5 نوفمبر 1883م[13]. وكان التعليق علي انتصار الإمام المهدي انه لا يستطيع التغلب علي الحكومة دون الحصار وفقد الأقوات والماء وانه لا يستطيع الوصول إلي الخرطوم ما دامت محصنة علي ضفة النيل، وذخيرتها ومعونتها متوفرة. وبهذا لا يستطيع المهدي الوصول إلي الخرطوم واحتلالها[11].وقال سلاطين باشا: سارت تجريده هكس في منطقة عشبية طولها يزيد عن قامة الإنسان فلم يكن في مقدور الجنود أن يروا لمسافة ابعد من حوالي 200 إلي 300 ياردة.و لو أن جنود هكس آخذو الطريق الشمالي جبره الشيخ بارا لوجدوا الأرض مكشوفا أمامهم والماء وفير في عدة أماكن، والماء إذا لا يكفي الجيش فانه باستخدام الوسائل الحديثة في الاستقاء واستنباط الماء كان يكفيهم[15]. من العوامل الجغرافية الطبيعية التي ساعدت المهدي في الانتصار علي جيش هكس هي عامل المسافة حيث تبعد الأبيض كثيرا عن الخرطوم مركز الدعم ،واستفاد المهدي من المسافة فائدة قصوى من خلال دفن الآبار ،وحركة السكان. لذا يمكن القول أن جيش هكس توغل في ارض عدوه منذ أن فارق النيل الأبيض ،كما استفاد المهدي فائدة كبيرة من عامل المساحة حيث وفرت له الحركة والانتشار. كما استفاد المهدي بصورة فائقة من الغطاء النباتي الطبيعي لإقليم كردفان، حيث استخدمه جنود المهدي كسواتر طبيعة للاختباء والتصويب الدقيق؛ مما أنهك جيش هكس وأدخلهم في حالة من الفزع وعدم الاطمئنان. حيث لا يري عدوه لينال منه ولكن عدوه يراه ويصوب الأسلحة

نحوه . ومن العوامل المساعدة علي انتصار المهدي أيضا عدم وفرة المياه علي طريق الجيش الغازي ؛ حيث دفنت الآبار ؛مما يعني قلة الماء وارتفاع درجة حرارة الشمس وارتفاع حرارة الإشعاع الأرضي بعد الظهيرة ،وذلك بقلة الالبيدو الأرضي في أشهر الصيف، حيث اجتمعت كل هذه العوامل الجغرافية الطبيعية وعملت في إنهاك الجيش القادم من المناطق المعتدلة. ومن أهم فوائد انتصار المهدي في شيكان هي احتفاظ المستعمر بالخرطوم وشرق السودان دون مهاجمة كردفان ؛ مما وفر الأمن والأمان للإمام المهدي والامتداد المساحي للثورة المهدية. وفي هذه الإثناء حاصر بعض رجال المهدي الخرطوم ولكن بقوة السلاح استطاعت الحكومة رفع الحصار عن الخرطوم في يوليو1884م . وعقب ذلك رأي غردون أن يبعث بوكيله ستيوارت لاحتلال بربر والبقاء هناك حتي وصول حملة الإنقاذ؛ وان لم يصل فعليه الرجوع إلي الخرطوم ولكنه عدل في رأيه بعد موقعة أم ضبان[13]. وعندما نما إلي علم غردون بتقدم عبد الرحمن النجومي إلي الخرطوم وان المهدي زحف عليها بخيله ورجاله أيقن أن مصيره الهلاك ولا نجاة له بغير وصول النجدة ؛فعدل عن رأيه وبعث باستيوارت إلي مصر وزوده بكتب إلي حكومة الخديوي والملكة يخبرهم بالأوضاع الحرجة في السودان، فتحرك ستيورات بثلاث بواخر وبعض المراكب الشراعية حتي يجتازوا الشلالات إلي حدود دنقلا، وعلي طول الرحلة إلي بربر كانت تنهمر عليهم الرصاص من علي ضفتي النهر، ولما وصلوا شمال بربر تركوا المراكب لان الهواء كان عاصفا فلم تستطع المراكب السير، وتبعهم الأنصار وغنموا بمراكب التجار؛ لأنها لم تستطع عبور الشلالات، وبعد اجتياز الباخرة للشلال ارتطمت بصخرة في منطقة جزيرة وأتلفتها فدخلت المياه ، عندها القي الكلونيل ستيورات الأسلحة في النهر، ونقلت الأمتعة إلي زورق وخرجوا بها إلي الشاطئ. ولكن أهل المنطقة أبادوهم جميعا حيث فرح الإمام المهدي فرحا شديدا بهذه الأنباء[11]. يلاحظ أن العوامل الطبيعية ساعدت كثيرا في هزيمة ستيورات خاصة جيومورفولوجية نهر النيل بجنادله وشلالاته التي لم تساعد المراكب الخفيفة من عبورها ومياه النيل وما بها من صخور في مناطق الشلالات عملت علي تحطم الباخرة حيث القي فيها أسلحة الدفاع في قاع النهر، ولم يكن لديهم

ما يدافعون به عن أنفسهم مما أصبحوا صيدا سهلا علي أنصار المهدي ، ثم النيل كظاهرة طبيعية ضيقة المساحة وتضاريسيا منخفضة عن المناطق التي حولها ،مما ساعد الأنصار بزعزة البواخر التي تقل ستيورات واضعف من قوته وروحه المعنوية. وزرع فيهم علامات الهزيمة، كما أن الرياح العاصفة تزيد من سرعة أمواج البحر مما يؤثر كثيرا علي حركة المواعين البحرية وبعمل الرياح وعواصفه الشديدة ترك ستيورات المراكب التي تساعده في الإنقاذ ، كما أن عواصف الرياح تقلل كثيرا من مدي الرؤية التي بالطبع تكون لها آثار شديدة الصعوبة في السير علي المسطحات المائية.

الخاتمة:

قامت الدولة المهدية في القرن التاسع عشر وانتصرت علي اعتي جيوش العالم ووقفت في وجه الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس وكسر مربع الدفاع الاقوي في الأراضي المكشوفة في تلك الفترة وكونت دولة اسلامة استمرت من 1881 إلي 1898م.ساعدته في ذلك عدة عوامل منها مساحة السودان وفرت له العمق الدفاعي مع تنوع المناخ ،التضاريس والطبوغرافيا وشكل نهر النيل والنيلين الأزرق والأبيض والشلالات والجنادل والجزر الرملية والصخرية والأشجار والغابات تحجب الرؤية والصحراء ودرجات الحرارة المرتفعة تتعب جيوش الانجليز القادمة من المناطق المعتدلة،كما أن شح المياه في بعض الأوقات وعدم وجود الماء في كل الطرق التي تسلكها العدو والجبال ساعدت في قيام الدولة وأصبحت جبل قدير الحصن الحصين في نمو وتطور الدولة المهدية. قال تعالي: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا. الكهف الآية (16). كما أن التربة الرملية الصحراوية تصنع درجات حرارية عالية نهارا نتيجة لانخفاض حرارته النوعية والتربة الطينية الموحلة لا تساعد علي السير خاصة علي ضفاف الأنهار وعندما تهطل الأمطار. وكذلك الأمطار واحدة من العوامل التي أثرت علي حروبات المهدي لان الجيوش الغازية لا تستطيع السير في مواسم الأمطار بينما تفضل قوات المهدي ذلك .وكل

هذه العوامل مع غيرها من عوامل آخري بشرية واقتصادية ودينية ساهمت وساعدت في انتصارات الإمام المهدي في المعارك الحربية وساعد ذلك علي قيام دولة الإمام المهدي.

النتائج:-

- ساعد الموقع الجغرافي الطبيعي في انتصار الإمام المهدي في الجزيرة ابا وتحرير الخرطوم.
- مظاهر السطح والتضاريس في جبال النوبة ساعدت في قوة شوكة الإمام المهدي وجيشه.
- الغطاء النباتي الطبيعي له الدور البارز في انتصار المهدي في معركة شيكان.
- للمناخ دور كبير في دور كبير في مسير المهدي نحو الأبيض وذلك من خلال وفرة مياه الشرب التي تجمعت بسبب هطول الأمطار.
- التضاريس النهرية (الشلالات) علي نهر النيل أفشلت بعثة ستيوارت.

التوصيات:-

- معرفة قادة الحروب بالبيئات الجغرافية.
- علي قادة المعارك فهم عناصر الطبيعة الثابتة والمتغيرة
- معرفة اثر عناصر الطبيعة علي الجيش.
- معرفة تقلبات فصول السنة.

المصادر والمراجع:-

- القران الكريم

1. دياب، جعفر محمد:(1897م)موقعة المتمة،العدد الثالث،مجلة كلية التربية،جامعة الخرطوم،2008م.
2. كيلاني،هيثم:(1991م.)الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية(1948-1988م)،مجلة الدراسات الفلسطينية،المجلد3،العدد،10.
3. عمر،مضر خليل:(2015م)مقالات في الجغرافية التطبيقية،بعقوبة،العراق.
4. الثلاثيني،نهاد يوسف:(2007م) الأمن العسكري في السنة النبوية،دراسة تحليلية موضوعية،رسالة ماجستير غير منشورة،الجامعة الإسلامية،غزة.
5. الفرا،طه عثمان(بدون)،دور الجغرافيا في المعارك الحربية،بيروت،مؤسسة الرسالة.
6. الديب،محمد محمود إبراهيم،(2002م): الجغرافية السياسية منظور معاصر، الطبعة الخامسة، دار الانجلو المصرية،ص187.
7. جودة ،جودة حسنين :(2004م.)،الجغرافية المناخية والحيوية ، طبعة جديدة ، دار المعرفة الجامعية،ص30.
8. عبدالعزيز، هاني:(1997م)، مجلة الاقصي ،الأردن العدد 898،ص1.
9. اتزو، سون،(2010م):فن الحرب ،دار الكتاب العربي، إعداد احمد ناصف، الطبعة الأولي،ص65.
10. شقير،نعوم،(1981م):تاريخ السودان،تحقيق وتقديم محمد إبراهيم ابوسليم، دار الجيل ،بيروت، طبعة جديدة، ص1023.
11. باشا، إبراهيم فوزي،(1903م): كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر، الجزء الأول ،طباعة جريدة المؤيد،ص149.
12. محي الدين، صلاح،(1995م) : وقفات في تاريخ السودان ،الطبعة الثالثة، دار ومكتبة الهلالي ،بيروت،ص19.
13. شبيكة، مكي،(1991م) :السودان عبر القرون،الطبعة الثالثة،دار الجيل،بيروت،ص339، 360،363 .
14. الطيب، زينب الزبير:(2010م)، الدراسات السودانية، الطبعة الأولي، 2010م، ص26.
15. باشا،سلاطين :(1930م)،السيف والنار في السودان ،تعريب جريدة البلاغ ،مكتبة البلاغ، ص64 ،98.